(٥٣) من تراث الكوثري

نبراس المهتدي

في

اجتلاء أنباء العارف دمرداش المحمدي

قدس الله سره

بقلم الفقير إلى الله

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

عفا الله عنه

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك — خلف الجامع الأزهر الشريف

ت:٥١٢٠٨٤٧

اسم الكتاب : نبراس المهتدي في إجتلاء
أنباء العارف دمر داش المحمدي
اسم المحقق : محمد زاهد الكوثري
رقم الإيداع : ٩٠٦٧ / ٢٠٠٧
التاريخ : ٢٠٠٧/٤/٢٢
عدد الصفحات : ٤٨ صفحة ، ٢٤ سم
تدمك : ٩٧٧ ٣١٥ ١٤٩٢
موضوع الكتاب : تراجم المتصوفين
الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث
العنوان : ٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
الشريف
١٥٣٣٠٠ ٩٢٢ / ٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تـمـهـيـــد

الحمد لله الذى أقام فى كل عصر من يُقتدى بهم فى سلوك سبيل الرشاد وأدام لهم فى الآخرين ذكرا جميلا مدى الآماد. فجعلهم قادة لمن بعدهم فى صنوف الخير من الصفاء والوفاء وانتهاج مسلك السداد. والصلاة والسلام على سيد الأنبياء، وسند الأصفياء، سيدنا محمد إمام الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، وعلـــى آلـــه الطيبين الطاهرين، وأصحابه القادة السادة المتقين، والتابعين لهم بإحسان إلى يـــوم الدين، أما بعد:

فيقول الفقير إلى الله سبحانه محمد زاهد بن الحسن بن على الكـــوثرى،غفر الله له ولوالديه ولقرابته ولمشايخه ولسائر المسلمين:

إن من العادات المستجادة الموروثة، والعوائد المستحسنة المأنوســـة، فـــى الخانقاه الدمرداشى شمالى القاهرة المحروسة، اختلاء السالكين كل ســـنة بالخانقـــاه المذكور، فى أواخر شهر شعبان المعظم المبرور، تزكية للنفوس، وتصفية للقلـــوب على أصول الطريقة الخلوتية الدمرداشية المحمدية، المنسوبة إلى الولى الكبير أبى عبد الله محمد دمرداش المحمدى – قدس سره– ثم إجراء احتفال عظيم عند انتهاء مدة الاختلاء، استنهاضا لهمم أرباب السلوك، إلى الإقبال الكلى على ملك الملـــوك وبهذه المناسبة الميمونة، تلقيت من فضيلة شيخ السجادة الدمرداشية الحالى، المنتهج

منهج المكارم والمعالى، المرشد النبيل، والسيد الأصيل، الأستاذ عبد الرحيم[١] بن مصطفى مختار الدمرداشى، من هو على السجايا الكريمة ناشى — حفظه الله — دعوة للحضور، إلى الخانقاه المذكور، ليلة الاحتفال بختام ليالى الخلوة، فى هذه السنة المباركة، فحضرت بعد المغرب ليلة الجمعة الخامسة والعشرين من شهر شعبان المعظم من سنة ١٣٦٤هـ فتشرفت بمجلس فضيلة الأستاذ الداعى، المحوط برعايته ورعاية أخويه الكريمين، السيد مصطفى والسيد أحمد الدمرداشيين، ووجدت الخانقاه المذكور، مكتظ الغرفات، بمئات من المدعوين، والوجهاء والأعيان، وأصحاب المراكز العالية من رجال الحكومة، ورجالات الدول الإسلامية الشقيقة.

وتشرفت هناك بسمو الأمير سيف الإسلام السيد عبد الله نجل جلالة مولانا إمام اليمن الميمون، وبسعادة الأستاذ المفضال الحسيب النسيب محمد صادق المجددى الفاروقى، وزير الدولة العلية الأفغانية، وبسعادة الأستاذ الأصيل، ذى المجل الأثيل، السيد محمود جم[٢] الكريم الشيم، سفير الدولة العلية الإيرانية بمصر المحمية — حرسها الله وسائر بلاد المسلمين — وغيرهم من سراة القوم فتجاذبنا معهم أطراف الحديث عن طرق التصوف، ولا سيما الطريقة الخلوتية الدمرداشية وتاريخها، واستنزلنا الرحمات على رجالها، إلى أن مدت الموائد الفاخرة، فى جنينة الخانقاه لمئات من المدعوين، ثم حضرنا بعد العشاء فى حفلة خروج السالكين من

(١) وأبوه من كبار القضاة حفظه الله، وجده لأبيه هو سعادة المرحوم مختار بك التركى مدير جرجا، عاش عيشة الأمراء فى أبهة وكرم بالغ، وكانت داره الكبيرة فى الدرب الجديد بالسيدة زينب محشد أرباب الحوائج لما عرفوا فى صاحبها من العناية البالغة بأمرهم إلى أن انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٢٥هـ تقريبا أعلى الله منزلته فى الجنة، ومن حق التاريخ أن ينوه بذلك، ثم زالت تلك الدار، كأنها لم يسكنها ديار (ز).

(٢) سليل العارف الحكيم مولانا السيد محمد الشبسترى التبريزى مؤلف "كلشن راز" ذلك الكتاب الخالد، وله شروح كثيرة منها شرح العارف الربانى الشيخ نعمة الله النخجوانى صاحب التفسير المشهور، ومن مؤلفات مولانا الشبسترى أيضا "الحق اليقين إلى معرفة رب العالمين" (ز).

خلواتهم بانتهاء مدة الاختلاء، وشهدنا ذكر الله من مئات من المريدين العشاق بلسان واحد وبصوت يشق السبع الطباق، ويصل إلى الآفاق، وعند انتهاء الحفلــة أخـذ المدعوون فى الانصراف إلى منازلهم، يشملهم كل إجلال وتكريم، من ذلك السـيد المضياف الكريم، داعين لهذه الأسرة المنحدرة النسبة والنسب، مــن ذلــك الــولى المقصود للاسترشاد من كل حدب، بدوام تسلسلها مدى الآماد، رفيعة العماد رصينة الأوتاد، باسقة الفروع مصونة الأصول موصولة الإرشاد، مع ازدياد فــى وجــوه السعى لخير البلاد والعباد، مما يعود على المجتمع الإسلامى عامة وعليهم خاصـة بكل إسعاد- بإذن الله سبحانه.

وهذا المشهد الروحانى الرائع ألهمنى أن أكتب رسالة تجمــع مــن شــتات الكلمات فى كتب الثقات، ما يكشف النقاب عن سيرة هذا الولى العــارف ونشــأته وإسناد رجال طريقته، مع ضبط الأعلام والألقاب، وتحقيــق الوفيــات والأنســاب إصلاحا لما أرى فى كتب لبعض الأعلام من أغلاط غير مقصودة سـبقت إليهــا الأقلام، أو خطيئات مقصودة شطحت بها الأفهام، فكتبت هذه الرسالة بتوفيــق الله جل جلاله لتبيين ذلك كله على طريق الاختصار، إعادة للحق إلى نصابه، وخدمــة للحقيقة بمبلغ علمى، ومدى فهمى، ورتبتها على مقدمة وفصلين وخاتمة، وسميتها: "**نبراس المهتدى فى اجتلاء أنباء العارف دمرداش المحمــدى**"، ومن الله التوفيــق والتسديد.

المقدمة

فى ذكر إسناد الشيخ دمرداش المحمدى- قدس سره - من شيخه إلى حضرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، مع ضبط ما يحتاج إلى الضبط مــن أســماء الشيوخ وأنسابهم وألقابهم ووفياتهم، وذكر بعض أحوالهم باختصار، فالشيخ العارف المكاشف، أبو عبد الله شمس الدين محمد دمرداش المحمدى- قدس سره- أخذ أولا عن الشيخ أبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى ـــ وهو أويسى روحانى التربية لا سند له من الجهة الجسمانية ـــ ثم رحل إلى تبريز فى أذربيجان فأخذ عن الشــيخ عمر دَه دَه الآيدينى الروشنى[٣]. ثم التبريزى المتوفى فى تبريز سنة ٨٩٢هـ[٤]. وكان مولد العارف الروشنى هذا بلدة (آيدين) فى ولاية (إزمير) ـــ فــى غــرب الأناضول ــ ثم رحل إلى (بروسة) ــ العاصمة القديمة للدولة العثمانية ــ لتحصيل العلوم لكن ابتلى هناك بعشق مجازى اضطره إلى الرحيل إلى أخيه الشيخ عــلاء الدين الخلوتى فى (قرمان) ــ من خلفاء العارف السيد يحيى الشروانى، فتاب وأناب عنده وتذوق التصوف ثم بعثه أخوه إلى السيد يحيى الشروانى فى (باكو) واكتمــل بدره عنده وتذوق التصوف فأجازه بالإرشاد فتنقل هناك فى كثير من البلاد بــأمر شيخه إلى أن استقر فى (تبريز) يرشد المسترشدين فكثرت جماعته إلى أن بلغــت نحو عشرين ألفا فنصب عليهم عدة خلفاء، وجعل سلوك الطريق على أيدى هؤلاء

---

(٣) آيدين بمعنى النيّر فى لغة الترك ثم سمى به البلد المعروف تسمية باسم حاكمه وروشــن بضم الراء وفتح الشين بمعنى النير أيضا فى لغة الفرس، فانتسب هــذا العــارف الربــانى روشنيا فى أشعاره للإشارة إلى بلده من بعد وإن لم يبق هذا المعنى بعد العلميــة و(ده ده) بفتح الدالين من غير نطق بالهاءين المزيدتين لمجرد إيذان فتح ما قبلهما بمعنى الجد فــى لغة الترك يلقب به بعض كبار شيوخ التصوف باعتبار أنــه بمنزلــة الجــد للمسترشــدين بتلاميذه (ز).

(٤) بإجماع المترجمين له وتاريخ موته (موت موت) فما وقع فى طبقات المناوى أنه توفى فى القرن السابع سبق قلم قطعا وإلا فكيف يمكن أن يتصور أن يكون شيخ دمرداش المتــوفى سنة ٩٢٩هــ من رجال القرن السابع (ز).

واحتجب هو عن مريديه فى خلوته، وكان جلالى المشرب، شـديد التـأثير علـى السالكين، وكان يقول: قالوا إن الطريق أربعة وعشرون قيراطا؛ ثلاثة وعشـرون منها أدب. وأنا أقول كلها أدب. كما ذكره المناوى فى ترجمته.

والروشنى هذا أخذ عن السيد يحيى جلال الدين بـن السـيد بهـاء الـدين الشروانى الباكوىّ- قدس سره - صاحب ورد الستار - المتوفى سنة ٨٦٧هـ فى التحقيق(٥). فى بلدة (باكو) بضم الكاف ــ وهو المنتهى الشرقى لجبـل القوقـاس المعروف بينابيع النفط، والنسبة إليه (باكوى) لا (باكورى) كما وقع فـى بعـض الأسانيد غلطا ــ وشروان بالفتح إقليم معروف فى الجنوب الشـرقى مـن جبـل القوقاس، ولد السيد يحيى هذا فى (شماخى) بالفتح ــ قاعدة إقليم شروان ــ ثم انتقل إلى (باكو) كما بينت ذلك فى (البحوث السنية عن بعض رجال أسـانيد الطريقـة الخلوتية) ــ إلى السيد مصطفى البكرى قدس سره ــ ومولانا الباكوى أخـذ عـن الشيخ صدر الدين عمر الخياوى (بالفتح) المتوفى سنة ٨٣٩هـ تقريبا، وقبره قرب (كنبد كبود) فى نواحى شماخى كما فى ترجمة (النفحات)، ونسـبته إلـى (خيـاوة مشكى) اسم قريتين متجاورتين بشروان، والصواب فى نسـبته (الخَيـاوى) بفـتح الخاء، وكل ما سوى هذا الضبط فى الكتب فتصحيف وتحريف ــ وهو أخذ عـن الحاج عز الدين(٦) الشروانى المتوفى سنة ٨١٥هـ تقريبا، وقبره قـرب (دروازة مير على) فى نواحى شماخى، وهو أخذ عن الأخ محمد بيرام الخلوتى المتوفى سنة ٧٨٠هـ تقريبا ــ واسمه يصحف إلى ميرم ومرم ومرمر ونحو ذلك ــ وهو يعـد

---

(٥) كما يدل عليه (جانشين جنت) ــ بمعنى المتبوئ مقعده فى الجنة ــ وهو تاريخه المشهور بين أصحابه. (ز).

(٦) وفى (ص ٣٢) من السلاسل الذهبية ذكر صدر الدين الخيالى وعز الدين الصوفى والجمال الشيرازى باعتبار أنهم من رجال السند لكن لا صلة لهم بما هنا لأن الأول مصرى متـأخر معاصر للشعرانى، والثانى مصرى لا شأن له بشروان، والجمال فى السند تبريـزى متقـدم وهذا شيرازى متأخر، وعد الشهاب شيرازيا خطأ. (ز).

من الفتيان الأخوية[٧] الذين يخاطب بعضهم بعضا بلفظ (أخى)، ولذا يزاد فى اسـم كل منهم لفظ (أخى)، والأقرب إلى الذوق العربى أن يقال بدله (الأخ) فقط فيكـون هذا مدعوا بالأخ بيرام الخلوتى ـ وبيرام بمعنى العيد فى الأصل ـ وهو شروانى أيضا، وأخذ هو عن الشيخ عمر الخلوتى، الشروانى المتوفى سنة ٧٣٩هـ تقريبـا وهو أخذ عن والده الشيخ محمد بن نور الخلوتى الخوارزمى الأصل المتوفى سـنة ٧٢٥هـ تقريبا، ويقال إن قبره بأنقرة، وإن صوته بالذكر كان يسمع فى خـوارزم من أربعة فراسخ كما فى (ترجمة النفحات)، والله أعلم، وإليه نسبة الخلوتية كما فى "تاريخ الجبرتى" عند ترجمة الحفناوى وفى "فتح رب الأرباب فى الأنساب"، وهـو رئيس الطائفة الخلوتية على الإطلاق، وهو أخذ عن الشيخ تاج الدين إبراهيم الزاهد الكيلانى المتوفى سنة ٧٠٠ هـ المدفون فى (سيارود) فى (كيلان) كما فى "تاريخ العراق فى عهد الصفويين" للأستاذ العزاوى- حفظه الله- وهو البـادئ بالتسـليك بالأسماء السبعة وبمراعاة الأطوار السبعة، وكان زميل الشـمس التبريـزى عنـد الجمال التبريزى. والكيلانى هذا تفرع منه الخلوتية والجلوتية، وهو أخذ عن جمال الدين التبريزى المعروف بابن الصيدلانى المتوفى سنة ٦٦٠هـ تقريبا، وهو أخـذ عن الشهاب محمد بن محمود التبريزى المتوفى سنة ٦٣٩هـ تقريبا، وهو أخذ عن الشيخ ركن الدين أبى الغنائم محمد بن الفضل الزنجانى (السجاسى) المتوفى سـنة ٦٢٥هـ تقريبا، وهو أخذ عن قطب الدين محمد بن أحمد الأبهرى المتـوفى سـنة ٥٩٠هـ تقريبا، وهو أخذ عن أبى النجيب عبـد القـاهر بـن عبـد الله البكـرى السهروردى[٨] المتوفى فى بغداد سنة ٥٦٣هـ عن ثلاث وسبعين سنة، وله "آداب المريدين" شرحه على القارى شرحا جيدا بعد أن تصوف، وتفرع من أبى النجيـب طرق كثيرة كالكبروية والمولوية والسهروردية والخلوتية والجلوتية وغيرها كمـا

(٧) وفيهم تاريخ خاص، ويذكرهم ابن بطوطة فى رحلته بكثرة. (ز).
(٨) سهرورد بضم فسكون ففتح بلدة عند زنجان بالفتح، وكذا أبهر بفتح فسكون، وزنجان فـى حدود أذربيجان، وورد فى بعض الكتب السنجانى بدل الزنجانى وهو تحريف. (ز).

يظهر من "تبيان وسائل الحقائق فى بيان سلاسل الطرائق" للشـيخ كمـال الـدين الحريرى أمين مكتبة السلطان محمد الفاتح باسطنبول المتوفى بها سنة ١٢٩٩هـــ وهذا الكتاب فى حكم معجم كبير عن الطرائق الصوفية؛ يتحدث مؤلفه فيه عن مائة وخمسين طريقة من طرق التصوف، ولم أطلع على أوسع من هذا الكتاب فى هـذا الموضوع، وكان معروضا للمطالعة فى مكتبة الفاتح كعارية تحت تصرف شقيق(٩) المؤلف أحد أمناء المكتبة، فى ثلاثة مجلدات بخط المؤلف ــ ولأبى النجيب أسانيد: أحدها عن الشيخ أحمد الغزالى (أخى حجة الإسلام) المتوفى سنة ٥٢٠هـ، عن أبى بكر بن عبد الله الطوسى النساج المتوفى سنة ٤٨٥هـ تقريبا، عن أبى القاسم (عبد الله) بن على الكركانى المعمر المتوفى سنة ٤٦٩هـ، عن أبى عثمان سـعيد بـن سلام المغربى المتوفى سنة ٣٧٣هـ، عن أبى على الحسـن بـن أحمـد الكاتـب المصرى المتوفى سنة ٣٤٣هـ، عن أبى على محمد بن أحمد الروذبارى المتوفى سنة ٣٢٢هـ عن سيد الطائفة الجنيد عن خاله السرى السـقطى عـن معـروف الكرخى عن داود الطائى عن حبيب العجمى عن الحسن البصرى عن على كرم الله وجهه، وتراجم هؤلاء ووفياتهم معروفة، ويناصر كثير من الحفاظ مثـل الضـياء المقدسى والجلال السيوطى رواية الحسن البصرى عن على ﷺ سماعا كمـا هـو مبسوط فى كتب القوم، وأما السند الثانى لأبى النجيب فعن عمه وجيه الـدين أبـى حفص عمر القاضى ــ المترجم له فى تاريخ ابن الجوزى ــ المتوفى سنة ٥٣٢هـ فى بغداد، وهو عن والده نجيب الدين محمد المتوفى سنة ٤٧٥هـ تقريبا، [وهوعن أبيه عبد الله عمويه بن سعد البكرى المتوفى سنة ٤٢٥هـ تقريبا]، وهو عن أحمد الأسود الدينورى، وهو من الذين عاصرهم القشيرى كما ذكره فى رسالته فيكـون أحمد الأسود معمرا عاش إلى حدود سنة ٣٨٠هـ لأن شيخه ممشاد علو الدينورى توفى سنة ٢٩٩هـ بعد وفاة سيد الطائفة الجنيد رضى الله عنهم أجمعين.

---

(٩) وكان يفكر فى طبعه ويقول: إن بعض المستشرقين يرغب فى ذلك ولا أدرى ماذا حدث بعد مغادرتنا قبل ٢٣ سنة. (ز).

وممشاد بفتح الميم الأولى وإسكان الميم الثانية، وعلو: محرف مــن علــى، كتحريف محو وحسو من محمد وحسن فى لهجة الأكراد الدينوريين، وأمــا الســند الثالث فعن عمه المذكور عن الأخ فرج الزنجانى المتوفى سنة ٤٥٧هــ، عن أبــى العباس أحمد بن محمد بن الفضل النهاوندى المتوفى سنة ٤٣٥هـ تقريبا، عن أبى عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى المتوفى سنة ٣٧١هــ عن رويــم بــن أحمــد المتوفى سنة ٣٠٣هــ، عن الجنيد بسنده- رضى الله عنهم أجمعين- وهذا القدر من البيان كافٍ فى هذا المقام، ومن أراد المزيد على ما هنا فليراجع الكتب المبسوطة.

الفصل الأول

فى ترجمة العارف الربانى الإمام أبى عبد الله محمد دمرداش بــن عبــد الله المحمدى- قدس سره- وقد ترجم له كثير من أهل العلم، مــن أمثــال الشــعراوى والعلائى وابن طولون والمناوى والنجم الغزى وعبد الغنى النابلسى- رحمهم الله- وأتمهم ترجمة له وأجمعهم لأحواله ــ فيما أعلم ــ هو الشيخ عبد الرعوف المناوى الصوفى المحدث المتوفى سنة ١٠٣١هــ عن (٧٩) سنة لأنه درس أحوالــه عــن كَثَبٍ حيث تلقاها من كبار أصحابه، وأصحاب أصحابه، مع سلوكه على طريقتــه وإن غلط فى تحديد وقت سياحته وتاريخ وفاته تقليدا للشعراوى المعروف بالتساهل فى تحديد الوفيات والتواريخ، وقد قال المناوى فى "الكواكب الدرية فــى طبقــات الصوفية" فى ترجمة العارف المــذكور: (دمــرداش المحمــدى الجركســى[١٠] ذو المجاهدات الغزيرة، والفضائل الشهيرة).

ثم ذكر أنه كان فى خدمة السلطان قايتباى الجركسى ثم قال: (وسبب سلوكه الطريق أن السلطان أرسله بكيس فى ضمنه دنانير إلى الشيخ أحمــد بــن عقبــة الحضرمى، المتقدم ذكره، فرده الشيخ فأبرم عليه دمرداش فى قبوله فأخذه وعصره فتحلل وتحلب كله دما عبيطا وقال:"هذا ذهبكم"؛ فذهل دمراش، وطاش عقله، وتاب ثم عاد للسلطان) ثم ذكر أنه سأله إعفاءه من الخدمة بإلحاح ففعل ثم قال: (ثم عــاد

---

(١٠) نسبة إلى جركس وهو من الجنس الأبيض القوقاسى المعروف عند الجغرافيين والنسابة، وبعده الغربيون من الآريين، والجنرال عزت باشا يطيل الكلام فى مؤلف خاص فى التــدليل على أن الجراكسة من بقايا الحيثيين، ويراهم ابن خلدون والبدر العينى من شعوب التــرك، يريدان أنهم من الجنس الأبيض المشترك، لأنه تحقق عند الباحثين أن الترك فريقان؛ فريق المستترك من الجنس الأبيض، وفريق الترك من الجنس الأصفر، كالعرب المســتعربة إزاء العرب العاربة، وفى المجالس السلطانية الغورية وتاريخ ابن إياس أنهم من الغساسنة، وفى "قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة" أنهم من بنى عامر من قريش والله أعلم علــى أن الناس سواسية، لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى. (ز).

إلى الشيخ فأخذ عنه ولازمه فلما مات[١١] ساح حتى وصل توريز[١٢] فأخـذ عــن العارف المكاشف عمر الروشنى[١٣] ﷺ فأقام عنده مدة وأشغله بالذكر الجهرى ثـم بعد مدة قال له: "ارجع إلى مصر حتى يقرب الأوان"، ثم توجه إليه مرة ثانية هــو والشيخ شاهين وسنطباى (صنطباى) والثلاثة جراكسة فأشـغلهم بالـذكر السـرى وأخلاهم مرارا ففتح عليهم فأجازهم وأمرهم بالعود إلى مصر لنفــع أهلهــا فلمـا وصلوا إلى ظاهر البلد قال دمرداش ﷺ: لا أدخلها بل أقيم هنا. وذلك محل زاويته الآن.

وقال شاهين ﷺ: يعجبنى ذيل العارض بسفح الجبل وهو محل زاويته الآن، فتوجه إليه ولزمه حتى مات (يعنى سنة ٩٥٤هـ)، ونزل الثالث فــى (المدرســة) السنقرية (يعنى القراسنقرية بباب النصر عند سعيد السـعداء) وتجمــل بــالملابس والفرش، وتردد إليه الأكابر، ثم اتهم بعمل الكيمياء، فنفر الأكثر منه (حتى أبعد سنة ٩١٢هـ في عهد قانصوه الغورى إلى فلسـطين)، وصــارت الشـهرة العظيمــة

---

(١١) يعنى الحضرمى لكن وفاته سنة ٨٩٥هـ على ما فى "الضوء اللامع" و"تاريخ ابن إياس" فى طبعتيه فلا يصح تأخر سياحة دمرداش إلى ما بعد هذا التاريخ لأن الروشنى توفى قبـل هذا التاريخ بثلاث سنوات اتفاقا فلا يتصور رحيل دمـرداش إلــى الروشــنى بعـد وفـاة الحضرمى، وإن تابع المناوى الشعراوى فى ذلك الغلط ولو علما تاريخى وفاتهما ما وقعـا فى ذلك الغلط، والواقع أن الحضرمى أويسى لا سند له فإنما كان يصحبه من يصـحبه فــى مبادئ السلوك ثم ينتقل حيث يكون التسليك المسلسل المتصل السند، فتكون رحلة دمرداش إلى تبريز قبل وفاة الحضرمى بدهر حتما. (ز).

(١٢) وهو الجارى على ألسنة العامة، والصواب عند الخاصة (تبريز) بكسر المثناة كمـا فــى اللباب لابن الأثير (ز).

(١٣) قال المناوى فى ترجمة الروشنى (لما أراد دمرداش السفر إليه من مصر أعطاه إبـراهيم المواهبى[*] كيسا ليدفعه إليه فدفعه إليه فإذا فيه مسمار أعــوج، ولــوح وقصــعة. فقــال الروشنى: أترون ماذا أراد؟ أما المسمار فيقول إن قلبه فى صلابة وقسوة واعوجــاج وقــد ليناه وقومناه، وأما اللوح فيشير به إلى خلو قلبه من المعارف فقد نقشناه، وأمــا القصــعة فيقول إن وعاءه فارغ فقد ملأناه. فكلمه هكذا وبينهما تلك المسافة (ز).

(*) كان شاذليا توفى سنة ٩١٤هـ وضريحه قرب قنطرة سنقر كما فى "شذرات الذهب"، وذكر فى "الخطط التوفيقية" (٢ ـ ١٢٨) أن قبره فى شارع الشعرانى رحمهما الله (ز).

لدمرداش واستقر شيخ الخلوتية بالديار المصرية، ولما نزل فى محل زاويتــه الآن قال له العارف المتبولى[١٤] ﷺ: "كُلْ من عمل يدك، وإياك والأكل مـــن صــدقات الناس وأوساخهم". فاستأذن قايتباى فى إحياء ذلك الموضع، فأذن له، فأقام يغــرس النخل، ويسقى نحو خمس سنين، وهو فى خُصٍّ هو وزوجته فغرس ألف نخلة، لم تخطئ منها واحدة، ويقال: إنه وضعها على شكل مربع مائةً فى مائةٍ بالتحرير على طريق وضع الأوفاق العددية، ووقفها أثلاثا: الثلث لمصالح الغيط، والثلث لذريتــه والثلث للفقراء الواردين والقاطنين، وكان لا ينام إلا قليلا وفى غالب الليل يمشــى حول الغيط والزاوية، وهو يتلو القرآن. وكان مهيبا، وأمره كله جدٌّ، لا تجده فــى غير عمل صالح، إما يجر السواقى بيده أو النواريج أو يعزق حوق النخل، أو يشد القواديس، أو يفتل الطونس[١٥]. أو يطحن، أو يعجن، أو يبنى، أو يقرص العجين.

قال الشعراوى ﷺ: أقام عنده الفقراء الصادقون، وانتفعــوا بــه، واســتخلف جماعة منهم: الشيخ حسن الجركسى، والشيخ محمد الحانوتى، والشيخ كريم الــدين ابن الزيات، وهو الذى أحيا طريقة شيخه بعده، وليس بمصر زاوية يأكل فقراؤهــا حلالا، كزاوية دمرداش، فإن وقفها من عمل يد الشيخ لا منةً لأحد على الفقراء، بل عمل ولى عارف، وكان إذا غلبه الحال يأكل الأردب من الأرز المفلفل، وعزم عليه بعض الأمراء فذهب إليه فقال: أين الفقراء؟ فإنى عملت لهم طعاما كثيرا. قال: أنا آكله. فقعد على السماط وصار يأكل وعاءً وعاءً حتى أكله كله، وقال: حملنا حسابه عن إخواننا الفقراء، وكان الطعام يكفى ثلاثمائة رجل[١٦].

---

(١٤) إبراهم بن على توفى سنة ٨٧٧هـ فيكون دمرداش قديم الرحلة إلى الروشنى (ز).

(١٥) حبل من ليف تشد به القواديس وهى دلاء الساقية التى ترفع الماء، والعزق شق الأرض ومنه المعزقة. (ز).

(١٦) وأصل الحكاية فى الطبقات الوسطى للشعراوى كما سيأتى ونقلها منها المناوى والــنجم الغزى وغيرهما. (ز).

ومن كلامه قدس سره: "من الناس من وحد الله بما تجلى لقلبه عنـد فكـره، ومنهم من وحده بنور وجده فى قلبه لا يقدر على دفعه"، وقال لما قطع يد الحـلاج ورجله: "كتب دمه على الأرض الله الله، وافتصدت زليخا، فكتـب دمهـا يوسـف يوسف، فى مواضع كثيرة، وذلك لجريان ذكر اسمه مجرى الدم فى عروقها" وقال: "من فهم الإشارات، قدمت له البشارات، ومن لم يفهم فليقف على باب ربه خاضعا خاشعا مطرقا فقيرا ذليلا لا شيء معه عند باب مولاه عسى أن يتولاه ويفتح له بابا لا يغلق، وينزل عليه فيضا لا ممسك له".

وقال: "إذا ولى الله خليفةً على قوم يعطيه عقولهم وأسرارهم فيكون مجمـع رعيته فمتى خانهم فى أسرارهم ظهر ذلك فيهم، وإن اتقى الله فـيهم ظهـر ذلـك عليهم".

وقال: "الاصطلام الكلى أن يغيب العبد عن العبودية والربوبية وعن جميـع العالم ولا يشهد إلا الحقيقة الإنسانية من حيـث الحقيقـة"، وقـال: "بلغنـى عـن إسماعيل(١٧) الجبرتى ﷺ أنه قال لبعض تلامذته، عليك بكتب ابن عربى ﷺ، فقال: يا سيدى إنى أصبر حتى يفتح على من حيث الفيض".

قال: "الذى تريد أن تصبر له عين ما ذكره الشيخ فى الكتب". قال صـاحب الترجمة: "وذلك لتقريب المسافة البعيدة وتسهيل الطريق عليهم لأن الرجل قد ينـال بمسألة من مسائل علمنا هذا ما لا يناله بمجاهدة خمسين سنة لأن السالك إنما ينـال ثمرة سلوكه وعمله، والعلوم التى وضعها الكُمَّل ثمرة سلوكهم وعملهم الخاص، فإذا فهم المريد ما قصدوه من وضع المسألة فى الكتاب وعلمها استوى هو ومصنفه فى معرفة تلك المسألة فنال بها ما نال المصنف، وما ورد عن بعض الأولياء من منع بعض تلامذته من مطالعة كتب الحقيقة فلإشرافه على قصور ذلك المريد عن فهمها

(١٧) هو كبير الصوفية فى زبيد اليمن إسماعيل بن إبراهيم الجبرتى وقد ترجم له السخاوى فى الضوء (٢ ــ ٢٨٣)، وكانت وفاته سنة ٨٠٦ هــ عن بضع وثمانين سنة (ز).

لأن قاصر الفهم إما أن يتأول كلامهم على غير مرادهم فيستعمله فيهلك أو يضـــيع عمره فى تصفح الكتب بلا فائدة، وأما من لهم فهم وقوة إيمان وإيقان فيأخـــذ مـــن كتبهم كل مأخذ وينال منها كل مطلب".

وقال: "وقد رأيت فى زمننا طوائف كثيرة من كل جنس من عـــرب وفـــرس وهند وغيرها بلغوا بمطالعة كتب الحقيقة مبلغ الرجال، ونالوا بها المقاصد والآمال فمن أضاف بعد ذلك إلى علمه فضل سلوك واجتهاد صار من الكُمَّل، وقـــد رأيـــت صبيانا من أهل الطريق من إخوانى بلغوا بمطالعة الكتب فى أيام قليلة ما لم تبلغـــه رجال باجتهادهم أربعين سنة أو خمسين سنة على أنهم كانوا سببا لدخول هـــؤلاء الصبيان فى مطالعة الكتب وفهمها لكنهم تأخروا عن مَدَاهُمْ فصار الصبيان شيوخا والشيوخ صبيانا؛ فمطالعة الكتب عن المحققين أفضل من أعمال السالكين، ومجالسة أهل الله مع الأدب أفضل من مطالعة الكتب؛ فعليك بملازمة الشيوخ فإن لم تجدهم فلازم مطالعة كتب الحقائق واعمل بمقتضاها تصل لمقصودك وتقع بـــذلك علـــى معرفة معبودك". اهـــ.

ثم قال المناوى: (مات ﷺ سنة نيف وثلاثين وتسعمائة) وهنا انتهـــى كـــلام المناوى فى ترجمة العارف دمرداش المحمدى ﷺ فشفى وكفى من كل ناحية غيـــر أنه تابع الشعراوى فى ذكر وفاته لكن الشعراوى على جلالة قدره له نواحى يتساهل فيها، منها ذكره لوفيات المشايخ كما لا يخفى على من درس كتبه فى التراجم ممن له حظ فى علم التاريخ؛ تراه يقول فى الشيخ شاهين أنه توفى سنة نيف وثلاثين مع أنه توفى سنة ٩٥٤هـــ وفى الشيخ دمرداش أنه توفى سنة نيف وثلاثين أيضا مـــع أنه توفى سنة ٩٢٩هـــ[١٨] قبل انتهاء السنة بأربعة أيام كما سيأتى والنيف يحتمـــل

---

(١٨) فلا يصح ما ذكره الأستاذ المرحوم مصطفى[*] منير بك أدهم من حضور محمد بن إلياس القاضى فى جنازته لأنه إنما ولى قضاء مصر بعد وفاة القطب الكبير بأربع ســـنوات فلعلـــه غلط عن حضوره فى جنازة ابنه محمد المتوفى سنة ٩٣٨هـــ لأن قضاءه استمر إلى ما بعد

عددا إلى العقد الذى يلى الثلاثين فإذا كان التساهل بأيام فى التاريخ مردودًا فمـاذا يكون حال من يتساهل فيه بعدة سنوات؟ ولذلك أمثال كثيرة فى كتبـه، والصـواب وفاة الشيخ دمرداش- قدس سره- هو ما ذكرناه وهو الموافق لنص ابنه المنقول من خطه فى "الرحلة الكبرى" للشيخ عبد الغنى النابلسى- رحمه الله- كما سيأتى ونسبة صاحب الترجمة محمديا، من جهة أنه كان هائما كل الهيام، فى حب سيدنا محمـد ﷺ، ومغرما كل الغرام بحب المصطفى عليه الصلاة والسلام بحيث لا يفتر سـاعة عن ذكره والصلاة عله تسكينا لأُوَامِ قلبه الممتلئ بعشق حضرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وقد ذكر الأستاذ المرحوم أحمد رفعت بن محمد أمين الاسطنبولى فى "اللغات التاريخية والجغرافية" ــ وهى دائرة معارف له فى سبعة مجلـدات ــ فى ترجمة الأشرف قايتباى فى (٥ــ ٢٦٤) نبأ من قبيل ما يروى عن نور الـدين فى الإسراع إلى الروضة المطهرة، بإشارة نبوية عند محاولة لـبعض المخـذولين الاعتداء عليها، ومن المتناقل بين أصحاب العارف دمرداش قدس سره: أن له صلة بهذا النبأ فيستحق بهذا أيضا أن ينسب محمديا لهذه النسبة القويـة الروحيـة والله سبحانه أعلم بأسرار عباده، وقد لزم الشيخ عبد الوهاب الشعراوى، الشيخ دمرداش - قدس سره- نحو خمس سنوات وأخذ عنه وعده شيخا لنفسه كما تراه يقول فـى (ص ١٤٨) من كتابه "لواقح الأنوار القدسية فـى بيـان العهـود المحمديـة". ".. وأخبرنى شيخنا الشيخ دمرداش المحمدى المدفون خارج مصر فى طريـق بركـة الحاج.." إلى آخر ما ذكره هناك، وذكر فى كثير من كتبه كثيرا من أقواله وأحواله وترجم له فى "الطبقات الوسطى" و"الطبقات الكبرى"، وعليهما يعول كثيـر ممـن

هذه السنة وأما ما ذكره بشأن سنان باشا فبعيد عن الإمكان لكون ولايته على مصر سـنة ٩٧٥هـ، وتأخر حضوره إلى مصر (ز).

(*) توفى سنة ١٣٦٤هـ رحمه الله وكانت له مقالات ممتعة فى الجرائد، وكان صهر المرحوم عبد الرحيم باشا الدمرداشى على بنته الكبيرة، وكان من كبار الموظفين فى التنظيم، عالمـا بحاثة، له مؤلفات نافعة أعلى الله منزلته فى الجنة. (ز).

ترجم له بعده فالأولى غير مطبوعة والثانية مطبوعة لكن من أصل سقيم، وإليـك نص ما قاله الشعراوى فى "لواقح الأنوار القدسية فى مناقب العلمـاء والصـوفية" المعروفة بالطبقات الوسطى المنقولة من خط المؤلف سنة ١٠٢١هـ المحفوظة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ فى قسم التاريخ فى عـداد الرجـال الـذين أدركهم وخدمهم وأخذ عنهم. (ومنهم الشـيخ الصـالح الـورع الزاهـد صـاحب المجاهدات الكثيرة والأكل من عمل يده الشيخ دمرداش المحمدى أجـلُّ أصـحاب سيدى الشيخ أحمد بن عقبة المغربى(١٩) المدفون فـى حـوش السـلطان برقـوق بصحراء مصر المحروسة فلما مات شيخه المذكور ساح فى البلاد إلى أن وصـل إلى توريز العجم فصحب الشيخ العارف بالله تعالى صاحب الكشوفات والمعـارف سيدى عمر روشنى فأقام عنده مدة ثم رجع إلى مصر فنزل بالبرية خارج الحسينية فسأل من السلطان قايتباى أن يأذن له فى إحياء أرض زاويته وأرض الغيط بالنخل فأذن له فأقام يغرس ويسقى نحو خمس سنين وهو فى خُصٍّ هو وزوجته أم سيدى أحمد ومصطفى فغرس ألف نخلة فلم يخب منها واحدة وليس فى مصر أحلى تمرةً منه حتى إن بعض السوقة يخلط منه على بلحه ويبيع على حسه من شدة حلاوتـه وقال لى: "يا عبد الوهاب ما غرست نخلة قط إلا على اسم الفقراء والمساكين الذين أنا من جملتهم"، وذكر أن سيدى إبراهيم المتبولى هو الذى أشار عليه بذلك وقـال له:" يا دمرداش! كل من عمل يدك وإياك والأكل من صدقات الناس فإنهم يتقاسمون حسناتك فى الآخرة"، وقد وقف ﷺ ما ملكه من الغيطان وقسمه ثلاثة أثلاث؛ ثلـث يرد على مصالح الغيط، وثلث للذرية، وثلث للفقراء والمساكين القاطنين والواردين

---

(١٩) كان يمانيا حضرميا لا مغربيا إلا أن أمه كانت منتمية إلى أبى مدين المغربى كما ذكـره المناوى، وقد ترجم له فى نحو صفحة ونصف صفحة، وذكر أن الشيخ أحمد بن أحمد بـن محمد بن عيسى البرنسى المالكى الفاسى المعروف بزروق أخذ عنـه. ولـزروق مؤلفـات كثيرة فى الفقه والتصوف وهو صاحب "قواعد التصوف" توفى سنة ٨٩٩هـ رحمـه الله. ولأحمد بن عقبة أيضا مؤلفات منها (المراصد) شرحه زروق. (ز)

وجعل على القاطنين كل يوم ختما يقرأونه ويهدونه(٢٠) للنبى ﷺ وللشـــيخ محيـــى الدين ابن العربى ﷺ، كل طائفة يقرأون عشرين حزبا ثم يختمون قبيل الغـــروب، صحبته نحو خمس سنين وبت عنده ليالى كثيرة فكان ﷺ عنه لا ينام من الليـــل إلا قليلا، وفى غالب لياليه يمشى حول الزاوية والغيط وهو يتلو القرآن إلى الفجر إلى أن عمل السور المحيط على الزاوية، فكان يجلس طول الليل فى الخلوة ولا ينام فى بيته إلا فى النادر.

وأرانى مرة خشونة يده وقال: انظر موضع الفأس، وكان رجلا مهيبا وأمره كله جد، لا تكاد تجده فى ليل أو نهار فى غير عمل صالح إما بجر السواقى بيـــده وإما بجر النواريج، وإما بعزقٍ حول النخل، وإما يشـــد القـــواديس، وإمـــا يفتـــل الطونس، وإما يدرس، وإما يطحن، وإما ينقى الطحين من الحجر والطـــين، وإمـــا يبنى، وإما يضرب طوبا، وإما يكب ترابا، وإما يقلم النخل، وإما يقرص العجين أقام عنده الفقراء الصادقون، وانتفعوا به، واستخلف منهم جماعة، وأذن لهم بالتسليك فى مصر منهم الشيخ حسَن الجركسى، والشيخ محمد الحانوتى، والشيخ كريم الدين بن الزيات، وهو الذى أحيا طريقة شيخه بعده، وزاوية الشيخ دمرداش عامرة بالسماط والفقراء، وليس فى مصر زاوية يأكل فقراؤها حلالا مثلها لأن وقفها مـــن عمـــل الشيخ بيده، لا منةً لأحد فيه على الفقراء، ولا رياء فيه ولا سمعة، بل عمل ولـــى عارف بالله تعالى، وهذا قل أن يقع لشيخ فى عصر من الأعصار، إنما يأكل فقراء زاوية ذلك الشيخ من أوقاف الناس من الولاة وغيرهم، وكان ﷺ عنه إذا غلب عليه

---

(٢٠) يدل هذا على أنه كان حنفيا لأن أبا حنيفة هو الذى يرى إهداء القرب كلها حتى الـــتلاوة، وكان الشيخ شاهين ـــ أخو الشيخ دمرداش فى الطريق ـــ حنفيا مثله، وكـــان يعـــد قـــول الغزالى فى أبى حنيفة فى "المنخول" من نزوة الشباب، وقوله فيه فى "الإحياء" رجوعا إلـــى الحق بعد أن تصوف. (ز)

الحال يأكل نحو الأردب المفلفل من الأرز، وعمل له مـــرة الأميـــر أقبـــردى(٢١) الدِّوِدَار سماطا وأرسل للشيخ يقول له:" ائت بجميع أصحابك"، فلم يأت الشيخ معـــه بأحد فجلس على السماط؛ ذكروا أنه كان يكفى خمسمائة نفس فقال الأميـــر: "أمـــا تنتظرون الجماعة؟" فقال الشيخ:" أنا أسد عنهم"، فصار يأكل من الإنـــاء ويلحســـه حتى أكله كاملا، وقال: "لم أشبع"، فأتوه بكِسَرٍ يابسة وبقية الطعام الذى غرفوه على اسم الغز والعيال فأكله؛ فاعتذر الأمير للشيخ، فقيل للشيخ:" كيف أكلتم ذلك كلـــه؟"، فقال: رأيته شبهات فحضرت بطائفة من الجن فأكلوه وحميت الفقراء منه. مات ﷺ سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ودفن بزاويته. اهـــ.

فعلم من ذلك أن للعارف بالله دمرداش الكبير من الأبناء سيدى أحمد وسيدى مصطفى غير ابنه سيدى محمد الذى قام مقامه بعد وفاته كما سيأتى، وقد سبق بيان أن منشأ غلط المناوى فى تاريخ وفاة دمرداش الكبير هـــو مـــا وقـــع فـــى كـــلام الشعراوى فى طبقاته وأنت رأيت نص كلامه المغلوط فيه هنا، ومثله فى الطبقـــات المطبوعة(٢٢) للشعراوى، ومن جملة ما يقول فيها: (ومنهم سيدى الشيخ دمـــرداش المحمدى ﷺ أحد جماعة سيدى عمر الروشنى بمدينة توريز العجم ﷺ، كان علـــى قدم السلف الصالح من الأكل بعمل يده والتصدق بما فضل، وعمل الغيط المجـــاور لزاويته خارج مصر..) إلى آخر ما ذكره فيه بإيجاز، وما فى "الوسطى" أتم، وقـــد نقلناه بنصه، ويغنى ذلك عن نقل تمام ما فى "الكبرى" المطبوعة، ولا أدرى من أين أتى التسمية بالكبرى للطبقات المطبوعة مع أن المخطوط الذى نقلنا منه أتم وأوسع،

---

(٢١) كان من كبار الأمراء فى عهد قايتباى ومن قرابته. توفى سنة ٩٠٥هـــ كما فى تـــاريخ ابن إياس. (ز)

(٢٢) وهى المسماة "بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار" المعروفة بطبقات الصوفية الكبرى لكن "لواقح الأنوار القدسية فى مناقب العلماء والصوفية" للشعراوى المعروفة بالطبقات الوسطى أتم من ناحية التراجم ولها ذيل مفيد للمؤلف وكلاهما موجود فى دار الكتب المصرية كمـــا سبق. (ز)

وهذا كان هو الحقيق بالطبع قبل تلك، وقد ترجم لدمرداش ﷺ أيضا نجـم الـدين الغزى عالم الشام فى "الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة" بمعنى مـا فـى "الطبقات الوسطى" للشعراوى، وذكر الشيخ الحسن الجركسـى والشـيخ محمـدًا الحانوتى والشيخ كريم الدين بن الزيات فى عداد خلفائه، وزاد قائلا: (قال العلائى: كان على سمت حسنٍ يأكل الحلال ويطعمه، وكان يعتقد ابن العربى وابن الفارض واستكتب "الفتوحات المكية" وغالب شروح "التائية"، وتوفى فى عصر يوم السـبت الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة تسع بتقديم المثناة وعشرين وتسعمائة وأقـيم مكانه ولده سيدى محمد .انتهى)، والعلائى هذا هو الحافظ العلامة محمد بدر الدين الحنفى المصرى المتوفى سنة ٩٤٢هـ مؤلف "حوادث القاهرة" من سنة ٩١٧هـ إلى أواخر سنة ٩٣٤هـ، والعلائى غلط فى وفاة دمرداش بخمسة أيام قدمها علـى زمن وفاته المنصوص عليه فى كلام ابنه كما سيأتى، وقول الشعراوى: إنه تـوفى سنة نيف وثلاثين، وقول الأستاذ المرحوم طاهر بك فى "المؤلفين العثمانيين": سنة خمس وثلاثين، وقول الأستاذ المرحوم مصطفى منير بك أدهم فى مقاله فى الأهرام (٧ رمضان ١٣٤٨): سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة كلها أغلاط متنابذة، والصـواب ما سننقله من رحلة النابلسى من أنه توفى فى ٢٦ ذى الحجة سنة ٩٢٩هـ.

فسنة ٩٣٨هـ تكون تاريخا لوفاة ابنه الذى قام مقامـه بعـد وفاتـه فغلـط مصطفى منير بك من توافق الاسم بين الأب والابن فجعل ما للابن للأب، وكـان الشيخ محمد هو الذى قام مقام أبيه فى الإرشاد فى الزاوية، وكان يسـاعده الشـيخ حسن الجركسى، وبعد وفاة الشيخ محمد ابن القطب الكبير، تفـرد الشـيخ حسـن المذكور بمشيخة السجادة الدمرداشية فى الزاوية، ثم نقل النجم الغزى مـن تـاريخ الشمس بن طولون الحافظ: (أن الشيخ دمرداش صلى عليه صلاة الغائب بالجـامع الأموى بدمشق يوم الجمعة سابع عشر المحرم سنة ثلاثين وتسعمائة، ثم صلى عليه بالعمارة السليمية بالصالحية فى الجمعة التى تليها) ثم قال: (ولعل ذلـك لاعتقـاده

الزائد فى ابن العربى- رضى الله عنهما ورحمهما رحمة واسعة-)، وكان دمرداش معروفا بالصلاح قبل أن يتصوف أيضا حتى إنه كان بعد فراغه من خدمة قايتباى يطفئ النور فى غرفته بالقلعة ويتعبد ويقول:" إن الزيت لخدمة السلطان فلا يصــح لى أن استعمله فى غير ذلك" حتى وشى الواشون بأنه يتظاهر بالعبادة فى الظـــلام ويتسلل بالليل إلى المدينة سعيا فى الفساد، فظن السلطان به سوءًا ففتش حجرته ليلا فلم يجده فيها فكاد أن يصدق الواشين فإذا هو فى حافة الحوض يتوضأ فى الظلام، فزال سوء الظن به من السلطان حتى كان يستخدمه فى صنوف الخير إلى أن أعفاه من الخدمة فتفرغ لعبادة ربه[٢٣] ،وللشيخ دمرداش الكبير مؤلفات منهـــا: (القـــول الفريد فى معرفة التوحيد) فى نحو أربعة عشر ورقة، أوله "الحمد لله الواحد الأحد الولى الحميد، الغنى بحمده القديم المجيد، عن تحميد الخلق الحادث الجديد، المنــزه فى كبريائه وعظمته عن التقييد والتحديد، المقدس فى ذاته الواجبة الوجــود عــن النعت والرسم والحد والحدوث والتجديد. وحد ذاته بذاته فهو الملك المجيد. والصلاة والسلام على الدر النضيد، والجوهر الفريد، مظهره الأعلى وسره الوحيــد، ســيد السادات وأجَل العبيد، الأول الآخر الباطن الظاهر المؤمن الشهيد صلى الله عليــه وعلى آله وأصحابه ذوى العقل السديد، والفعل الرشــيد، وعلــى إخوانــه الكُمَّــل المحفوظين من الله بالتأييد والتسديد، وعلى ورثته الأفراد المتفردين فى مقام الجمع بالتوحيد، أما بعد: فإن العبد الفقير إلى الله، الفانى فى الله، الباقى بالله، محمد المدعو دمرداش المحمدى يقول: قد سألنى الأخ فى الله الشاب الصالح، والنجل الزكى الفـــالح أبو الغنائم والفضائل إبراهيم جعله الله من أوليائه، وجمَّله بملابس أنوار أصــفيائه، أن أشرح له قول بعض العارفين، من الأولياء الواصلين الكاملين، حيث قال: "مــن ســأل

(٢٣) ولا وجه لاستبعاد النجم الغزى كون دمرداش فى خدمة قايتباى قبل أن يتصوف أصلا فلو كان اطلع على ما قاله المناوى فيما سبق فى سبب اتصال دمرداش بالحضرمى مــا نــبس ببنت شفة فى استبعاد ذلك. (ز)

عن التوحيد فهو جاهل، ومن أجاب عنه فهو ملحد، ومن عرفه فهــو مشــرك، ومــن يعرف لِمَ ذلك فهو كافر" فأجبته إلى ذلك بما أورده وارد الحق وألقاه فى جنانى، ونطق به لسانى، بحسب الاختصار دون التطويل، وحسبى الله ونعم الوكيل، وأقول مســتعينا بالله وأسأله الهداية، للقول السديد فى البداية والنهاية". إلى آخر ما ذكره هنــاك، وهــذا المدخل ينبئ عن مذاقه فى التصوف كما أن كلماته المنقولة فيما ســبق مــن طبقــات المناوى تدل على مشربه فى علوم القوم، وكذلك ما يورده من الأشعار بمناسبات منها:

عجبــت مــن بحــر بــلا ســاحل ... وســـاحل لـــيس لـــه بحـــر

وصـــحوة لـــيس لهـــا ظلمـــة ... وليلـــة لـــيس لهـــا فجـــر

وكـــرة لـــيس لهـــا موضـــع ... يعرفهـــا الجاهـــل والحبـــر

*

بتنزيـــه توحيـــد الإلـــه أقـــول ... وذلـــك نـــور مـــا لديـــه أفـــول

وتنزيهـــه مـــا بـــين ذات ورتبـــة ... وإن الـــذى يـــدرى بـــه لقليـــل

*

جمالك فـــى كـــل الحقـــائق ســـائر ... ولـــيس لـــه إلا جلالـــك ســـاتر

*

لقد كنت دهرا قبل أن يكشف الغطا ... إخالـــك أنـــى ذاكـــر لـــك شـــاكر

فلما أضاء الصبح أصبحت شـــاهدا ... بأنـــك مـــذكور وأنـــك ذاكـــر

*

إن جئت أطلبه لا ينقضـــى ســـفرى ... أو جئت أحضره أوحشت فى الحضـــر

فلا أراه ولا يغيـــب عـــن بصـــرى ... وفى ضميرى ولا ألقاه فـــى عمـــرى

وللشيخ دمرداش الكبير إلمام بعلم الأوفاق والحرف والزايرجة والرمل، وقد تلقى ذلك منه الشيخ كريم الدين الخلوتى ـــ أجل خلفائه بعد الشيخ حسن الجركسى كما فى "طبقات المناوى" فى ترجمة الشيخ كريم الدين هذا، وقال الأســـتاذ الكبيـــر صاحب المؤلفات الخالدة الشيخ عبد الغنى النابلسى- رحمه الله- فى رحلته الكبرى المسماة بـــ"الحقيقة والمجاز فى رحلة الشام ومصر والحجاز" عند ذكـــره لزيارتــــه ضريح الشيخ دمرداش المحمدى بمصر فى يوم الثلاثاء الرابع عشر من جمـــادى الثانية من سنة اثنتين ومائة وألف ومعه الشيخ زين العابدين البكـــرى[٢٤]- رحمـــه الله: (.. حتى وصلنا إلى زاوية الشيخ الإمام العـــارف الهمـــام محمـــد دمـــرداش المحمدى الجركسى ذى المجاهدات الغزيرة والفضائل الشهيرة) ثم ساق ترجمته من "طبقات المناوى" على طبق ما سبق ثم قال: (فدخلنا إلى زاويته وقصدنا مكان قبره فإذا هو جامع، لأنواع المحاسن جامع، وبرق سره الشريف فى هاتيك الجهات لامع، ووقفنا عند قبره نحن ومن معنا وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعـــالى، وعليـــه مـــا لا يوصف من النور والمهابة، والله ولى الإجابة، وبقربه قبر كبير فيه أولاده وذريته أيضا فزرناهم وقرأنا لهم الفاتحة، وجلسنا هناك فى ذلك الجامع حصة من الزمان، مع الشيخ زين العابدين البكرى- حفظه الله- وبقية الإخوان، وقد تلقانا بعض ذريته الحاضرون هناك، وأخرجوا لنا شيئا من تصانيفه وبعض الكتب الموقوفة من خزانة هناك، وعلى ذلك المكان قبة، ذات بهجة وسيمة، تسمى قبة الأنوار، لأنهـــا معـــدن المعارف وكنز الأسرار، ورأينا فى بعض تلك الكتب من خط ولد الشيخ دمـــرداش وهو الشيخ محمد ما نصه: (توفى سيدى ووالدى الشيخ الإمام العالم العلامة العمدة أبو عبد الله شمس الدين[٢٥] محمد دمرداش فى ليلة يسفر عن صباحها نهار الخميس

---

(٢٤) ولد سنة ١٠٦٠هـــ وتوفى سنة ١١٠٧هـــ ودفن عند أسلافه بجوار الأمام الشـــافعى ﷺ (ز).

(٢٥) ومن هنا يعلم أن لقب القطب الكبير هو شمس الدين وأما التلقيب بجمال الدين كما وقـــع فى بعض كتابات بعض المتأخرين فلابنه سيدى محمد، لا له (ز).

السادس والعشرين من ذى الحجة الحرام سنة تسع وعشرين وتسعمائة بين المغرب والعشاء تغمده الله برحمته..). وهذا نص يقضى على مـــا ســـبق مـــن الروايـــات المغلوطة فى وفاته قدس سره، ثم استمر الأستاذ النابلسى فى كلامـــه وقـــال: (ثـــم خرجنا إلى خارج ذلك المقام، فرأينا تلك الخلوات العظام، نحو خمســـين خلـــوة أو ستين ذات أسرار وأنوار، وهى التى تسمى مساجد الأبرار، يختلى فيها المريـــدون ويجتلى فيها حضرات الغيب المسترشدون، ثم صعدنا إلى ذلـــك القصـــر العـــالى، فوجدنا هناك رواقا كبيرا نوره متلألئ، وفيه أيضا كثير من الخلـــوات، لاســـتجلاء المريدين بدائع الجلوات، فجلسنا فى ذلك القصر حصة من الزمان مع حضرة الشيخ زين العابدين البكرى، واجتمعنا بأولاد الشيخ دمرداش- قدس سره- وخليفته مـــنهم السيد حسن وهو رجل من الأفاضل ذوى الصلاح والمبرة، وهنـــاك أنـــاس مـــن المجاورين). انتهى ما فى "رحلة عبد الغنى النابلسى"، وهذا النص يعطينـــا فكـــرا صحيحا عما كان عليه هذا المقام، فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى[٢٦]، ويفيدنا أيضا أنه كان هناك خزانة كتب تحتوى على بعض مؤلفات الشيخ دمرداش الكبيـــر وكتب أخرى بخط ابنه سيدى محمد وغيره، ولم أطلع من كتب ذلك الولى الكبيـــر على شيء سوى "القول الفريد فى معرفة التوحيد" وهـــو محفـــوظ بـــدار الكتـــب المصرية و"تحفة الطلاب الرائمين حضرة الوهاب"، أرجوزة فى آداب هذه الطريقة العلية؛ زيد فى آخرها ما يكمل به السند بعد صاحب المقام من قبل بعض أحفـــاده رحمهم الله، وهى أيضا من محفوظات دار الكتب المصرية بل طبعت طبعا سقيما، فيا ترى أين ذهب باقى تلك الكتب؟ يحدثنا التاريخ أن الزاوية الدمرداشية انتهبـــت فى عهد استيلاء نابليون على مصر، فتكون تلك الكتب أخذت فيما أخذ من التحـــف الثمينة، ونقلت إلى فرنسا، فربما يكون البحث هناك عن تلك الكتـــب مفيـــدا فـــى

---

(٢٦) وكذلك تفيدنا الخطط التوفيقية (٤ ــ ١١٢) عن حالة الزاوية فى أواخر القـــرن الثالـــث عشر الهجرى، وأوائل القرن الحاضر. (ز)

الوصول إلى نتيجة تمكن من نقل صورها الشمسية على أقل تقدير، فيتحتم السعى فى معرفة مصير تلك الكتب الأثرية الثمينة، والسعى بطريقة قد تؤدى إلى الحصول على الضالة المنشودة، وقد ذكر صديقنا المغفور له الأستاذ طاهر بك البروسوى فى "المؤلفين العثمانيين" (عثمانلى مؤلفلرى) أنه رأى فى مكتبة الشيخ سنان فى (آلاشهر) ـ فى ولاية إزمير ـ كتابا للشيخ دمردش سماه "جمع الأسرار وكشف الأستار" فى تطبيق حكاية وردت فى "منطق الطير" لفريد الدين العطار، بالأنفس على مذاق أهل التصوف، والله أعلم.

وعزا إليه أيضا أن له حاشية على "الأشباه والنظائر" فى الفقه لكن هذا وهمٌ محض لأن الأشباه تأليف العلامة زين بن نجيم المصرى المتوفى سنة ٩٧١هـ فأنى يتصور أن يعمل الشيخ دمرداش المتقدم الوفاة حاشية عليه؟!، وإنما تلك الحاشية لابن الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله التمرتاشى، وغَزِّى لا مصرى، وفقيه لا صوفى، وإن كان بينهما توافق واشتراك فى اللقب والاسم واسم[٢٧] الأب، ودمرداش ليس باسم لهذا بل هو تمرتاشى، منسوب إلى أحد جدوده، وهو (خليل بن تمرتاش) من رجال أواخر القرن الثامن الهجرى من القوقاسيين القاطنين إذ ذاك بمصر، وفى تاريخ هذه الأسرة التمرتاشية الغزية كتاب خاص محفوظ فى مكتبة محمد أسعد تحت رقم (٢٢١٢) فى اسطنبول، وليس بين الدمرداشية[٢٨] المصرية والتمرتاشية الغزية أدنى سبب ولا نسب، فلا يتوهمنَّ واهم أن صالح بك البكباشى الجركسى فى الجندرمة المصرية ـ جد سعادة الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ مصطفى الدمرداشى ـ منحدر النسب من الأسرة الغزية بفرض أن صالح بك

(٢٧) لأن اسم أبى القطب الكبير (عبد الله) كما فى الأصول المعتمدة، وأما كونه تلقى التصوف من الشيخ عبد الطالب النقشبندى فلم أره فى أصل وثيق، بل لا وجود لهذا الاسم فى كتب النقشبندية على غرابة التسمية به. (ز)

(٢٨) وفى فروع هذه الشجرة الطيبة جزء خاص مطبوع، لكنه فى حاجة إلى بعض تنسيق وتحقيق. (ز)

المذكور هو صالح جلبى ــ مبدد أموال والده القاضى ــ بالنيابة لا بالأصالة ــ نجم الدين التمرتاشى ــ التاجر فى الأصل ــ الغزى. القاضى علـــى ســـمعة أســـرته. المترجم له ترجمة سيئة فى تاريخ الجبرتى(٢٩) فى وفيات سنة ١٢٠٠هـــ (٢ــــ ١٢٧)، لأن ابن القاضى كان ثريا مترفها بدد أمواله بسوء تصرفه ولم يتوظف قط وأما الثانى فجندى باسل كان يعيش بكد يمينه، وعرق جبينه، فى عـــداد بكباشـــية الجندرمة المصرية. وفى متناول يد الباحث جميع أحواله فى المصادر الرسمية كما يظهر مما سننقله من كلام الأستاذ المرحوم مصطفى منير أدهم بك. المنشور فـــى (الأهرام) ــ ٧ رمضان ١٣٤٨هـــ ــ وهو من أدرى الناس بأحوال هذه الأسرة فى القرن المنصرف والقرن الحاضر، بل كان الأستاذ المغفور له الشيخ عبد الـــرحيم باشا الدمرداشى يصارح جلساءه بجنسه ونسبه حرصا على الاحتفاظ بأنباء الآبـــاء فى بيئة استحدثتها أسرته، حتى إن طلبة العلم الجراكسة بالأزهر كانوا يزورونـــه فيحضهم على اكتساب العلم عاطفا عليهم عطفا خاصا، وقائلا لهم: "نحن أبناء عم" فى شيء من الاعتزاز بجنسه الذى اختاره الله له ــ كما جبل البشر على ذلـــك ــ فحاشاه أن يرضى عزوه إلى جد غير جده، مع ما ورد فى السنة مـــن الزواجـــر الشديدة عن انتماء المرء لغير آبائه، وفى صحيح البخارى: **(ومن ادعى قوما ليس لهم فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار)**، وغاية ما بين الأسرتين من الصـــلة هـــى شراء بعض أثرياء الدمرداشية المصرية من صالح جلى التمرتاشى الغزى بعـــض أملاك، وليس امتلاك شيء من أسرة مما يجعل اتحادا فـــى النســـب بـــين البـــائع والمشترى، وسجلات حصر التركة للموظفين تقطع خيال كل متوهم فى هذا الصدد وبتلك النصوص المسرودة فى هذا الفصل يظهر بطلان ادعاء أن دمرداش الكبيـــر

(٢٩) تولى نيابة قضاء أبيار أكثر من عشر سنين وهو يشتريها فـــى كـــل دور، وكانـــت لـــه تصرفات غريبة فى الأوقاف التى كان ناظرا عليها بمراسيم حتى أثرى واشترى نيابة مصر والدار المعروفة فى درب قرمز وسكنها ثم انتقلت بالشراء إلـــى الدمرداشـــية المصـــرية لا بالإرث. (ز)

من تبريز ــ كما وقع فى كلام الأستاذ مصطفى منير بك. وإنما كان تبريــز بلــد استرشاده فى تهذيب نفسه، لا بلد أسرته وجنسه. فلو كان اطلع علــى النصــوص المنقولة من المناوى وغيره ما وقع فى هذا الوهم الفظيع، وكذلك يظهر بها بطلان قول طاهر بك البروسوى أنه من (كوتاهيه) ــ فى الأناضول ــ ولا مانع مــن أن يكــون شخص يسمى دمرداش نشأ فى كوتاهيه لكن ليس كل من يسمى دمرداش هو القطــب الكبير المحمدى. وبتلك النصوص يظهر أيضا بطلان نسب الغزى إلى بلد فى خوارزم ــ كما توهم ذلك الطحطاوى فى حاشيته على "الدر"، ورد عليه ابن عابدين.

الفصل الثانى

فى ذكر بعض خلفائه وأولاده وتحقيق أنبائهم وإزالة بعض وجوه التلبيس فى بعض كتب التراجم.

أول من قام مقام الشيخ الكبير بعد وفاته هو الشيخ محمد أكبر أبنائه المتوفى سنة ٩٣٨هـ وهو المذكور فى كلام العلائى والنجم الغزى وعبد الغنى النابلسى رحمهم الله كما سبق نقل نصوصهم فى ذلك، وكان الشيخ حسن الجركسى- رحمه الله- يرشد المسترشدين فى الزاوية الدمرداشية، وبعد وفاة الشيخ محمد بن دمرداش الكبير تفرد الشيخ حسن بالإرشاد هناك، وقد اتفقت كلمات الشعراوى والمناوى والنجم الغزى على أن الشيخ حسنا خليفة دمرداش الكبير جركسى كما سبق نقل عباراتهم فى ذلك، وهو المذكور باسم الشيخ حسن الزركشى فى "الخطط التوفيقية" (٣ ــ ٢٢) عند ذكر جامع الزركشى وضريحه، كما أنه هو المذكور أيضا فى "السلاسل الذهبية" للمرحوم السيد محمد نور السرجانى باسم الشيخ حسن الزركشى مرة وباسم الشيخ حسن الرومى مرة أخرى، فالأول لنسبه والثانى لصناعته قبل التصوف والثالث لكثرة أسفاره إلى بلاد الروم (البلاد العثمانية) لأجل الإرشاد وليس هو بالحسن الرومى صاحب الزاوية بالمحجر فى القلعة، وإليك ما يدل على أن الجركسى والزركشى والرومى هناك شخص واحد، قال الشعراوى فى "الطبقات الوسطى" (١٠١٩و) فى مكتبة زكى باشا[٣٠]: (ومنهم الشيخ الصالح صاحب المجاهدات الكثيرة والرياضة فى أكثر أيامه الشيخ حسن الجركسى أجل خلفاء سيدى الشيخ درمداش صحبته نحو سنتين. وكان يحبنى كثيرا ورأيته مرة وقد أدخلنى بيته وكشف عن عياله، وأطلعنى عليهم، وهذا علامة عندى لصحة الاتحاد فى المحبة مات ﷺ فى ٢٨ شعبان سنة ٩٥٥ هـ ودفن بمنزله داخل باب القنطرة

---

(٣٠) ومثله فى نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة رقم (١٤٢٣ تاريخ) (ز).

ﷺ) يعنى حارة الفراخة بالسيارج اليوم ـــ وقال المناوى فى "الطبقـــات الكبـــرى": (حسن الرومى خليفة الشيخ دمرداش كان كثير المجاهدة والرياضة حسن التصرف والاعتقاد، مليح الإصدار والإيراد، أتقن طريق الخلوتية وخاض من لجتهـــا علـــى أسرارها العلية، ومن كراماته أنه لما سافر من مصر إلى بلاد الروم فسخت زوجته النكاح بالغيبة وترك الإنفاق، وتزوجت ببعض الجند فلما حضر الشيخ إلى مصـــر ووجدها قد تزوجت، اجتمع بزوجها وقال له:" طلقها لترجع إلى"، فأبى كل الإبـــاء فعاد من عنده وكان عند الزوج أربعة أفراس فأصبحت جميعها موتى فطلقها فورا.

قال شيخنا الشعرانى: صحبته سنتين وأدخلنى بيته وكشف لى عـــن عيالـــه وأطلعنى عليهم قال: وهذه علامة على صحة اتحاد المحبة حتى مات سنة ٩٥٥هـــ ودفن فى بيته بالقرب من باب القوس) ـــ يعنى باب القنطرة بالفراخة قرب مدرسة باب الشعرية، وقال أيضا عند ترجمة الشيخ كريم الدين الخلوتى: (ولما دنت وفـــاة الشيخ دمرداش واستخلف الشيخ حسنا، ولم يتعرض له مـــع نجابتـــه لـــزم الأدب وسكت، ولما احتضر الشيخ قال لولده الشيخ محمد قصرنا فى شأن الشـــيخ كـــريم الدين مع استحقاقه، أشهدكم أنى أجزته فاكتبوا له وأعطوه جبتى فكتب له ولد الشيخ صدرا من الإجازة فمات الشيخ فأكملها بعده.. فاجتمع عليه خلق كثيرون وانتهـــت إليه الرياسة فى طريق الخلوتية، وعلا قدره وظهر أمره، ولما كثرت جماعته تحول إلى زاوية بالقرب من قنطرة (آق سنقر) على الخليج توفى سنة ٩٨٦هـــ عن نحو تسعين سنة). ودفن بزاويته المعروفة اليوم بجـــامع الخلـــوتى ـــ راجـــع الخطـــط التوفيقية (٤ ـــ ١٠٩) عند ذكره لجامع الخلوتى، وهو كريم الدين محمد بن أحمـــد ابن محمد الخلوتى المعروف بابن الزيات، أخذ عنه شيخ الإسلام أبو الحسن علـــى ابن غانم المقدسى الحنفى الفقيه المشهور. والشمس الرملى كبير الشافعية. كما أخذ عنه أيضا الشيخ محمود الهدائى التركى حين وروده مصر لينوب عن قاضى مصر (ثم سلك عند الشيخ محمد محيى الدين أفتاده الجلوتى فى بروسه حتى أصبح شـــيخ

مشايخ الجلوتية ــ فى إسكدار ــ وتلقى الذكر منه السلطان أحمد الأول العثمـــانى رحمهم الله). وأما الشيخ محمد الحانوتى المذكور فى عداد خلفاء الشيخ دمرداش فلا يمكن أن يكون هو شمس الدين محمد بن سراج الدين عمر الحانوتى الفقيـــه ابـــن الفقيه، الورع ابن الورع لأنه إنما ولد قبل وفاة الشيخ بسنة فقط كما يظهـــر مـــن "خلاصة الأثر" للمحبى فلا يتصور أن يكون خليفة عنه، وإن كان هو وأبـــوه مـــن الورعين الأبرار، ويحتمل أن يكون أصل الكلام (أبو محمد الحانوتى) فسقط مـــن الناسخ لفظ (أبو) فيكون الخليفة هو (أبا محمد) سراج الدين عمر الحانوتى الفقيـــه الحنفى صاحب الفتاوى ــ المتوفى سنة ٩٧٠هــ كما فى ذيل "الطبقات" للشعراوى ــ فغاية ما يمكن للابن، أن يحمله أبوه وهو ابن سنة إلى الشيخ دمرداش فيدعو له الشيخ وينال بركات دعواته، ثم لا يبعد أن يكون الحانوتى محرفا مـــن الخلـــوتى فيكون هو كريم الدين بن الزيات لأنه معروف بالشيخ محمد الخلوتى فيكون الناسخ هو الذى جعل كريم الدين، ومحمدا الخلوتى شخصين بالتصرف فى العبارة المنقولة فيما سبق لكن يصرفنا عن هذا الاحتمال وتحميل تبعة التحريف على ناسخ مجهول مفروض، تطابق نسخ المناوى والنجم الغزى وعبد الغنى النابلســـى فـــى جعلهمـــا شخصين، والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال، والشيخ عبد الرءوف المناوى صـــاحب "طبقات الصوفية" يسوق سند نفسه فى الطريقة الدمرداشية عن الأخوين العـــارفين الشيخ عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف والده بالصبان المتوفى سنة ١٠٠١هــ والشيخ محمد تركى الخلوتى المتوفى سنة ١٠٠٧هــ، وهما أخذا عن الشيخ كـــريم الدين عن الشيخ دمرداش الكبير – رضى الله عنهم أجمعين– وهما مـــدفونان فـــى حارة بهاء الدين بن السيارج تجاه مدرسة ابن حجر، وقد ترجم لهما المناوى، وأما السيد محمد بن على السنوسى الصوفى المشهور فقد ساق سنده فى الطريقة الخلوتية الدمرداشية فى "السلسبيل المعين فى أسانيد الطرق الأربعين" بطريق العارف بـــالله سيدى محفوظ بن عبد القادر الخلوتى عن الإمام الفرد الأكمل شيخ زمانـــه ســـيدى

محمد الدمرداشي عن والده الشيخ حسن الرومي ــ وهو المذكور فيما سبق باسـم الزركشي مرة وباسم الجركسي مرة أخرى ــ وهو آخذ عن أستاذه شيخ التحقيـق سيدى محمد المعروف بدمرداش- قدس سره- ومثله في "تبيان وسائل الحقائق في بيان سلاسل الطرائق" للشيخ كمال الدين الحريري- رحمه الله- وهناك شيخ آخـر من أصحاب المواجيد يسمى حسين جلبي العينتابي الرومي رفيق الشيخ دمـرداش عند الشيخ عمر الروشني، أتى معه إلى مصر ومات بها ودفن بالزاوية الدمرداشية كما في "مرشد الزوار" وغيره، وقد استفاد من صحبة حسين جلبي: الشيخ شـاهين الدمرداشي الخلوتي[٣١] كما هو مذكور في ترجمة الشيخ شـاهين فـي "طبقـات المناوي"، وشاهين كان زميل الشيخ دمرداش في خدمة قايتباي وفي رحلته الثانيـة إلى تبريز، لكن حيث سبق أن صحبه واستفاد منه نسب دمرداشـيا - رضـي الله عنهم، ونفعنا بنفحاتهم ورفع منازلهم في الجنة.

---

(٣١) وهو من شيوخ الحافظ محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي مؤلف "السيرة الشامية الكبرى" المشهورة كما يظهر من "مطلع النور في فضل الطور" له، ولشاهين من الشيوخ في التصوف والعلوم نحو ستين شيخا، ومدفنه يطل على القرافة في سفح جبل المقطم فوق ابن الفـارض، وهو صاحب ذلك الجامع المتخرب هناك مع كونه كثير الأوقاف وكان عامرا عند قـدوم عبـد الغني النابلسي مصر سنة ١١٠٢هـ ووصفه وصفا جيدا وذكـر المـدفونين فـي الضـريح الشاهيني في رحلته الكبرى وترجم له فيها كما ترجم له الشعراوي والمناوي والـنجم الغـزي وصاحب "الشذرات"، راجع "الخطط التوفيقية" (٥ ــ ٣٠)، وله مكاشفات وكرامات مدونة فـي كتبهم رضي الله عنهم أجمعين، ومثله ليس ممن يهمل جامعه ومقامه (ز).

الخاتمة

فى ذكر بعض المشايخ المتأخرين من أهل هذه الطريقة مع بيان بعض مـــن تولى مشيخة الزاوية الدمرداشية من الذين اتصل نسبهم بدمرداش الكبير من جهـــة الأمهات فقط.

قال الجبرتى فى "عجائب الآثار" (١ــ ٢٦٥): (السيد الأجل فخـــر أعيـــان الأشراف المعتبرين السيد محمد بن الحسين الحسينى العـــادلى الدمرداشـــى، ولـــد بمصر قبل القرن بقليل ــ يعنى قبل تمام المائة الأولى بعد الألف ــ وأدرك الشيوخ وتمول وأثرى وصار له صيت وجاه وكان بيته بالأزبكيـــة يـــرد عليـــه العلمـــاء والفضلاء، وكان واحدا فى شأنه، وكلمته مقبولة عند الأمراء والأكابر، ولما تـــولى أبو هادئ الوفائى– رحمه الله – يعنى نقابة الأشراف – كان يتردد إلـــى مجلســـه كثيرا، توفى سنة ثمان وسبعين ومائة ألف).

وفى "الخطط التوفيقية" عد الشيخ العادلى هذا، من ذريـــة الشـــيخ دمـــرداش الكبير لكن لا دليل على أن ذلك من جهة الأب بل هو دمرداشى الطريقة فقط على ما أرى، وعنه أخذ الشيخ عثمان، وعن الشيخ عثمان أخذ ابنه الآتى، والعادلى أخذ الطريقة عن النور محمد بن عبد الرحيم عن أبيه عن محمد ابـــن الشـــيخ حســـن الجركسى عن أبيه القطب الكبير، وقال الجبرتى أيضا فى "تاريخه" (٢ ــ ٦٠) عند ذكره لوفيات سنة ١١٩٤هــ: (وفيها مات السيد الأجل الوجيه الفاضل السيد محمد ابن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن مصطفى[٣٢] ابـــن

(٣٢) أظن أن هنا سقوط اسم بالنظر إلى ما تقرر عند النسابين أن كل مائة سنة لا تقـــل عـــن ثلاثة رجال، فلعل الأصل (مصطفى بن محمد بن القطب الكبير سيدى محمد) فأسقط الناســـخ اسم (محمد) الابن ظنا منه أنه مكرر خطأ مع أن محمدا هذا مشهور، نعم لدمرداش الكبيـــر ابن يسمى مصطفى كما سبق نقلا من "الطبقات الوسطى" للشعراوى لكن لا ندرى ما إذا كان عاش وخلف فليحرر (ز).

القطب الكبير سيدى محمد دمرداش الخلوتى، ولد بزاوية جده ونشأ بها، ولما توفى والده السيد عثمان جلس مكانه فى خلافتهم وسار سيرا حسنا مع الأبهـة والوقـار وتردد الأفاضل إليه على عادة أسلافه، وكان يعانى طلب العلم مع الرفاهية.. ولازم المرحوم الوالد هو وأولاده السيد عثمان والسيد محمد المتولى الآن فى مطالعة الفقه الحنفى وغيره فى كل يوم بالمنزل ويحضرون أيضـا بـالأزهر علـى الأشـياخ المترددين إليهم بالزاوية مثل الشيخ محمد الأمير(٣٣) والشيخ محمد العروسى والشيخ محمد بن إسماعيل النفراوى والشيخ محمد عرفة الدسوقى وغيرهم، وكان إنسـانا حسن العشرة والمودة، وتوفى رابع عشر رمضان من السنة ودفن بـزاويتهم عنـد أسلافهم)- رحمهم الله تعالى. والشيخ محمد الذى يقول عنه الجبرتى عند ذكر أولاد الشيخ محمد بن عثمان المتوفى سنة ١١٩٤هـ: (والسيد محمد المتولى الآن). هـو الذى تولى المشيخة بعد وفاة والده المذكور وأدرك احتلال الفرنسيين لمصـر، ثـم تولى أخوه الشيخ مصطفى وعاش إلى سنة ١٢٥٠هـ وتوفى فيها، وكانت له بنتان السيدة ستيتة والسيدة صفية، ولم يكن له ابن فزوج أولاهما لصالح بك الجركسـى البكباشى فى الجندرمة حيث كان أحبه لكونه موصوفا بجمال الخلقة وكمال الخلـق والبسالة فرزق صالح بك المذكور من السيدة ستيتة بالشيخ مصطفى (والـد عبـد الرحيم باشا) وزوج بنته الأخرى الست صفية، لأحد أصحاب صالح بك المـذكور وهو الذى تولى المشيخة بعد وفاة حَمِيِّه السيد مصطفى بـن محمـد بـن عثمـان الدمرداشى سنة ١٢٥٠هـ باسم الشيخ عثمان، وهو أخذ الطريقة عن حميه المذكور واستمر على المشيخة إلى أن توفى سنة ١٢٦٩هـ، وكان يسعى ليجعل المشـيخة فى ذريته لكنه لم ينجح بل وقع الاختيار بعد وفاته على الشيخ مصطفى بن صـالح بك الجركسى:

---

(٣٣) توفى سنة ١٢٣٢هـ، والعروسى سنة ١٢٤٥هـ والنفراوى سنة ١١٨٥هـ والدسوقى سنة ١٢٢٠ هـ- رحمهم الله. (ز)

أتتــــه الخلافــــة منقــــادة إليــــه تجــــرر أذيالهـــا
فلــم تــك تصــلح إلا لــه ولــم يكــن يصــلح إلا لهـــا

فتولى الشيخ مصطفى المشيخة بعد أن سلك بيد الشيخ إسماعيل قاسم النقيــب الدمرداشى الآخذ عن جد الشيخ مصطفى لأمه، وقــال الأســتاذ المرحــوم الســيد مصطفى منير بك آدهم فى مقاله المنشور فى (الأهرام) ــ ٦ فبرايــر ١٩٣٠م ــ عن صالح بك والد الشيخ مصطفى (إنه جركسى وإنه دخــل فــى ســلك رجــال الجندرمة العسكرية وارتقى إلى رتبة البكباشى تحت قيادة المرحوم حسن بك رحمى التركمان الصنجق صهر المرحوم محمد بك البيرقدار محافظ دمياط أيــام العزيــز محمد على. وقبره بشارع الطحاوية بقرافة الإمام الشافعى ﷺ)، واســتمر الشــيخ مصطفى على المشيخة مواظبا على العبادة والإرشاد إلى أن توفى سنة ١٢٩٤هــ ثم تولى المشيخة بعده نجله الشيخ عبد الرحيم باشا ابن الشيخ مصطفى بن الســيد صالح بك الجركسى البكباشى، بعد أن أخذ التصوف عن والده وتفقه فى مذهبه على شيخ الإسلام عبد الرحمن الرافعى الحنفى وغيره.

وقام بأعباء المشيخة خير قيام، ووسع أوقاف الزاوية. واســترد المغصــوب منها، وجدد عمارتها على وجه التمام والكمال، وزاد ما يزيدها جمــالا ولا يســع المقام ذكر ما له من المآثر العظيمة وهى مشهودة ملموسة، والمستشفى الدمرداشى الماثل أمامنا خير مثال لأريحيته العظيمة وهمته القعساء، ولم يرزق بولد ذكر بــل كانت له بنتان(٣٤) رزقت كبراهما بولدين هما السيد إبراهيم أدهم الدمرداشى والسيد عبد الرحيم مصطفى الدمرداشى وقد نبغا فى الرياضيات وعلــم الهندســة، وأمــا الصغرى فأنجبت أشبالا كراما مثل السادة الأساتذة الشيخ عبد الرحيم بن مصــطفى مختار الدمرداشى شيخ السجادة الدمرداشية وأشقاءه الأفاضــل: أنجــال صــاحبة

(٣٤) وقع اختياره للمصاهرة بهما على فاضلين من بنى قومه، كما فعل جد والده لأمه على ما سبق. (ز).

العصمة السيدة المصونة قوت القلوب[٣٥] الدمرداشية كريمة سـعادة الشـيخ عبـد الرحيم باشا الدمرداشى المتوفى يوم الأربعاء خامس رمضان، سنة ١٣٤٨هـ عن ثمان وسبعين سنة- أسكنه الله فى أعلى غرف الجنـان- وخلفـه علـى السـجادة الدمرداشية أكبر أنجال كريمته السيدة المصونة، الشيخ عبد الرحيم بـن مصـطفى مختار الدمرداشى، ولصغر سنه إذ ذاك تولى النيابة عنه السيد الوجيه الحاج أمـين الصياد الجوهرى- رحمه الله - وأما الآن فقد أصبح السيد عبد الرحيم الدمرداشى المذكور ابن بجدة المشيخة يقوم بأعبائها خير قيام كما هو مشهود، وقـال الأسـتاذ مصطفى منير أدهم بك فى مقاله السالف الذكر. (ولكثرة ما كان بالزاوية من أثمن الهدايا التى كانت ترد إليها من اسطنبول والعراق والعجم والشام وفلسطين وبـلاد الغرب ومصر وغيرها من أتباع ومحبـى سـيدنا الـدمرداش ﷺ طمعـت فيهـا الفرنساويون أيام وجودهم فى مصر فنهبوها مع ما كان معها من نفـائس الكتـب والوثائق.. ولولا ما كان محفوظا فى بعض بلاد الدلتا والصعيد عند أتباعـه وفـى صدور مريديه لما اهتدينا إلى شيء من تاريخه ﷺ).

ويظهر من ذلك أن الأستاذ المرحوم ما كان اطلـع علـى المصـادر التـى ذكرناها ولذلك نجده يغلط فى مقاله فيما يتعلق بأحوال الشيخ دمرداش الكبير نفسـه وليست الأنباء التاريخية مما يقبل عن كل من هب ودب بل يجـب تنسـيق تلـك

---

(٣٥) وموقف عصمتها المشرف ضد التبرج العصرى الممقوت، مما يسجل لها التـاريخ بكـل اكبار، كما أن مبرّاتها المعروفة فى الحجاز ومصر والشام، وسعيها المشـكور فـى نشـر تحيير تراث علماء هذه الأمة بمعرفة رجال العلم والأدب، وإصدار (إمتاع الأسـماع) ذلـك الكتاب الممتع فى السير النبوية بمناسبة ذكرى والدها العظيم - وسبق أن تحدثت عن ذلك فى مجلة الإسلام (٢ - ١٣٥٩هـ) - مما يخلد لها فى صفحات التاريخ بكل إجلال وتقدير، أطال الله بقاءها فى خير وعافية، ووفقها للمضى على إحياء مآثر علماء هذه الأمـة ممـا يعود على المجتمع بكل خير، وعلى عصمتها بكل مثوبة وفخر، يوم تقاعس الرجـال عـن الاهتمام بتثقيف الأمة والنشء الحديث تثقيفا عاليا إسلاميا يصونهم من الانحلال والتحلـل بتركهم السعى فى إحياء مآثر أئمة هذه الأمة مسترسلين فى تقلد تقاليد الغرب كلها بـدون ثُنْيَا، أيقظنا الله سبحانه من غفوتنا وأرشدنا لما فيه رضاه. (ز)

المحفوظات التى يشير إليها الأستاذ، وتمحيصها تمحيصا علميا بعرضها على محك النقد الصحيح لتصفية المقبول من المردود.

وقد حققت بتوفيق الله سبحانه كثيرا مما يتعلق بتاريخ هذه الطريقة وأحـــوال رجالها منذ قديم بنصوص جعلتها بين أقواس مع تعيين مصادرها إرجاعا للحق إلى نصابه بمبلغ علمى، ولم يكن من قصدى تسجيل الحاضر، لأنه سهل ميسور لكــل ناظر، وقد ألممت بالغابر بقدر استطاعتى تمهيدا لعمل ما هو أتم وأجمع مــن كــل ناحية لمن يريد ذلك، وفى الختام نستنزل الرحمات على أجداث جميـــع الســـادات، أصحاب الخيرات والمبرات، ولا سيما جَدَث ذلك الهمام المقدام صـــاحب الســـعادة الشيخ عبد الرحيم الدمرداشى، صاحب تلك المآثر الخالدة - أعلى الله تعالى منزلته فى الجنة- وأطال بقاء صاحبة العصمة السيدة المصونة كريمته البارة مع أنجالهـــا الأساتذة فى خير وعافية وسعادة وحسن قيام بما يعود على المجتمع الإسلامى عامة وعلى الأسرة الدمرداشية خاصة بكل خير مع التوفيق فى جميع الأعمـــال لصـــالح الإسلام والمسلمين وغفر لنا ولهم ولسائر المسلمين.

وقد تم تحرير هذه الرسالة بيد مؤلفها الفقير إلى الله سبحانه محمد زاهد بـــن الحسن الكوثرى عند أذان الظهر من يوم الخميس أول شهر رمضان المبارك مـــن سنة ١٣٦٤هـــ. بتوفيق الله جل جلاله، وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العـــالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.